[٤]

الافتراء على رسول الإسلام

ثم.. هل يليق بعظيم الفاتيكان، أن يقتبس الافتراءات التى تتحدث عن أن رسول الإسلام ﷺ لم يأت إلا بما هو سيئ ولا إنسانى وشرير؟!!.. ومن ذلك حضه على نشر دينه بالسيف؟!!..

وإذا كانت «خارطة العالم الإسلامى» تقول: إن أربعة أخماس الأمة الإسلامية لم يدخل بلادها جيش إسلامى فاتح.. ولا عرفت فى تاريخها حروبًا ولا فتوحات.. وإنما دخلها الإسلام وانتشر فيها بالقدوة والأسوة وتميز منظمومة القيم والأخلاق التى جاء بها الإسلام- والتى حملها إلى هذه البلاد التجار والعلماء والمتصوفة..

كما تقول حقائق تاريخ الفتوحات الإسلامية: إن هذه الفتوحات جميعها إنما تمت ضد قوى الهيمنة الاستعمارية والحضارية التى قهرت الشرق واستعمرته ونهبته لعشرة قرون -من «الإسكندر الأكبر» [٣٥٦-٣٢٤ ق.م]- فى القرن الرابع قبل الميلاد - إلى «هرقل» [٦١٠-٦٤١م]- فى القرن السابع للميلاد..

وتقول هذه الحقائق -كذلك- بأن جميع معارك تلك الفتوحات الإسلامية إنما كانت ضد جيوش الاستعمار البيزنطى والفارسى، ولم تدر معركة واحدة ضد أهل البلاد من الشرقيين..

بل وتقول هذه الحقائق -أيضًا- إن الشعوب الشرقية قد وقفت مع جيوش الفتح الإسلامى ضد المحتلين البيزنطيين الرومان؛ لأنها رأت فى الفتح الإسلامى تحريرًا للأرض والأوطان من النهب الرومانى، وتحريرًا للشرق من القهر الحضارى البيزنطى.. وتحريرًا للمسيحية الشرقية وضمائر أهلها من الاضطهاد الدينى -بل والإبادة- التى مارستها الكنيسة الرومانية ضد النصرانية الشرقية.. وقفت هذه الشعوب الشرقية جميعها مع جيوش الفتح الإسلامى، وهى على دياناتها السابقة على الإسلام..

ولقد شهد الأساقفة النصارى الشرقيون -ومنهم شهود العيان على هذا الفتح الإسلامى- على أن هذا الفتح إنما كان «**إنقاذًا**» للنصرانية الشرقية -التى اضطهدها الرومان- وتحريرًا للكنائس والأديرة الشرقية - التى اغتصبها الرومان-.. وعلى أن هذا الفتح إنما جاء «**عقابًا إلهيًا**» -بيد إسلامية- للرومان على ظلمهم الذى مارسوه ضد الشرق والشرقيين لعشرة قرون..

• شهد بهذه الحقيقة -التى تجاهلها عظيم الفاتيكان- الأسقف القبطى «يوحنا النقيوسى».. فقال:

«إن الله -الذى يصون الحق- لم يهمل العالم، وحكم على الظالمين، ولم يرحمهم لتجرئهم عليه، وردهم إلى أيدى الإسماعيليين- [العرب المسلمين]- ثم نهض المسلمون وحازوا كل مدينة مصر..

وكان هرقل حزينا.. وبسبب هزيمة الروم الذين كانوا فى مدينة مصر، وبأمر الله الذى يأخذ أرواح حكامهم.. مرض هرقل ومات..

وكان عمرو -[ابن العاص ٥٠ ق.هـ- ٤٣هـ/ ٥٧٤- ٦٦٤م]- يقوى كل يوم فى عمله، ويأخذ الضرائب التى حددها، ولم يأخذ شيئًا من مال الكنائس، ولم يرتكب شيئًا ما، سلبًا أو نهبًا، وحافظ عليها -[الكنائس] طوال الأيام»[١].

- وشهد بذلك بطرك المصريين «بنيامين» [٣٩هـ/ ٦٥٩م] -الذى ظل هاربًا من مطاردة الرومان ثلاثة عشر عامًا.. حتى جاء الفتح الإسلامى فأمنه.. وأعاده إلى كرسى كنيسته.. وأعاد إليه كنائس رعيته وأديرتهم من الاغتصاب الرومانى.. فخطب فى «دير مقاريوس» -بعد التحرير الإسلامى- فقال:

«لقد وجدت فى الإسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت أنشدهما، بعد الاضطهادات والمظالم التى قام بتمثيلها الظلمة المارقون»[٢].

- ولقد وصف الأسقف «يوحنا النقيوسى» فرح المصريين بانتصار المسلمين على الرومان.. وبهجتهم بتحرير المسلمين للبطرك «بنيامين» ورد الكنائس والأديرة إلى أهلها.. وصف ذلك الذى شهدته عيناه، فقال:

---

(١) [تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى: رؤية قبطية للفتح الإسلامى] ص ٢٠١، ٢٢٠. ترجمة ودراسة: دكتور عمر صابر عبد الجليل. طبعة القاهرة ٢٠٠٠م.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٢٠.

«ودخل الأنبا «بنيامين» بطرك المصريين مدينة الإسكندرية، بعد هربه من الروم فى العام ١٣ -[أى العام الثالث عشر من تاريخ هروبه]- وسار إلى كنائسه، وزارها كلها.

وكان كل الناس يقولون: هذا النفى، وانتصار الإسلام، كان بسبب ظلم هرقل الملك، وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين على يد البابا «كيرس» - [البطرك المعين من قبل الدولة الرومانية فى مصر]-.. وهلك الروم لهذا السبب، وساد المسلمون مصر..»[١].

- كما شهد بذلك الأسقف «ميخائيل السريانى» -بعد خمسة قرون من الفتح التحريرى الإسلامى- فقال -فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى-:

«وهذا هو السبب أن إله الانتقام الذى تفرد بالقوة والجبروت، والذى يديل دولة البشر كما يشاء فيؤتيها من يشاء.. لما رأى شرور الروم الذين لجؤوا إلى القوة فنهبوا كنائسنا، وسلبوا أديارنا فى كافة ممتلكاتهم، وأنزلوا بنا العقاب من غير رحمة ولا شفقة، أرسل أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم.. ولم يكن كسبا هينًا أن نتخلص من قسوة الروم وأذاهم وحنقهم وتحمسهم العنيف ضدنا، وأن نجد أنفسنا فى أمن وسلام»[٢].

---

(١) [تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى: رؤية قبطية للفتح الإسلامى] ص ٢٢٠.

(٢) توماس آرنولد [الدعوة إلى الإسلام] ص ٧٢، ٧٣ -وانظر كتابنا [الإسلام فى عيون غربية] ص ١٣٨.

. . وهكذا رأى ميخائيل الأكبر -بطريرك أنطاكية اليعقوبى- «أصبع الله فى الفتوح العربية، حتى بعد أن خبرت الكنائس الشرقية الحكم الإسلامى خمسة قرون»[1] -كما يقول العالم الإنجليزى توماس أرنولد.

● وشهد على هذا الطابع التحريرى للفتح الإسلامى، العلامة سير توماس أرنولد [١٨٦٤- ١٩٣٠م] فقال:

«إنه من الحق أن نقول: إن غير المسلمين نعموا -بوجه الإجمال- فى ظل الحكم الإسلامى، بدرجة من التسامح لا نجد لها معادلاً فى أوربا قبل الأزمنة الحديثة.

وإن دوام الطوائف المسيحية فى وسط إسلامى يدل على أن الاضطهادات التى قاست منها بين الحين والآخر على أيدى المتزمتين والمتعصبين، كانت من صنع الظروف المحلية، أكثر مما كانت عاقبة مبادئ التعصب وعدم التسامح»[2].

● وشهد بذلك -أيضًا- المستشرق الألمانى الحجة «آدم متز» [١٨٦٩- ١٩١٧م] عندما قال:

«لقد كان النصارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام»![3].

---

(١) [الدعوة إلى الإسلام] ص ٧٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٧٢٩، ٧٣٠.

(٣) آدم متز [الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى] جـ١، ص ١٠٥. ترجمة: دكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة. طبعة بيروت ١٩٦٧م.

● ولقد استمرت شهادات الإنصاف للفتوحات الإسلامية -من رجال الدين.. والمؤرخين غير المسلمين- حتى القرن العشرين.. فكتب يعقوب نخلة. روفيلة [١٨٤٧- ١٩٠٥م] فى كتابه [تاريخ الأمة القبطية] يقول:

«ولما ثبت قدم العرب فى مصر، شرع عمرو بن العاص فى تطمين خواطر الأهلين باستمالة قلوبهم إليه، واكتساب ثقتهم به، وتقريب سراة القوم وعقلائهم منه، وإجابة طلباتهم.

وأول شىء فعله من هذا القبيل: استدعاء «بنيامين» البطريرك، الذى اختفى من أيام هرقل ملك الروم، فكتب أمانًا وأرسله إلى جميع الجهات يدعو فيه البطريرك للحضور، ولا خوف عليه ولا تثريب، ولما حضر، وذهب لمقابلته ليشكره على هذا الصنيع، أكرمه، وأظهر له الولاء، وأقسم له بالأمان على نفسه وعلى رعيته، وعزل البطريرك الذى كان أقامة هرقل، ورد «بنيامين» إلى مركزه الأصلى معززًا مكرمًا..

وكان بنيامين موصوفًا بالعقل والمعرفة والحكمة حتى سماه بعضهم (بالحكيم).. وقيل إن عمرا لما تحقق ذلك منه، قربه إليه، وصار يدعوه فى بعض الأوقات ويستشيره فى الأحوال المهمة المتعلقة بالبلاد وخيرها. وقد حسب الأقباط هذا الالتفات منة عظيمة وفضلاً جزيلاً لعمرو.

واستعان عمرو فى تنظيم البلاد بفضلاء القبط وعقلائهم على تنظيم حكومة عادلة تضمن راحة الأهالى، فقسم البلاد إلى أقسام يرأس كلًّا منها حاكم قبطى ينظر فى قضايا الناس ويحكم بينهم، ورتب مجالس ابتدائية

واستئنافية مؤلفة من أعضاء ذوى نزاهة واستقامة، وعين نوابًا من القبط ومنحهم حق التداخل فى القضايا المختصة بالأقباط والحكم فيها بمقتضى شرائعهم الدينية والأهلية، وكانوا بذلك فى نوع من الحرية والاستقلال المدنى، وهى ميزة كانوا قد جردوا منها فى أيام الدولة الرومانية.

وضرب [عمرو بن العاص] الخراج على البلاد بطريقة عادلة.. وجعله على أقساط، فى آجال معينة، حتى لا يتضايق أهل البلاد..

وبالجملة، فإن القبط نالوا فى أيام عمرو بن العاص راحة لم يروها من أزمان..»[1].

هكذا شهدت هذه الشهادات -التى كتبها أقباط ومستشرقون- منهم من كان شاهد عيان على الفتوحات الإسلامية.. شهدت على أن هذه الفتوحات:

- هى التى أنقذت النصرانية الشرقية من الإبادة الرومانية..
- وأعادت الشرعية والعلنية والحرية لهذه النصرانية الشرقية، بعد أن حظرها الرومان، وعاملوها باعتبارها هرطقة ممنوعة -وبعبارة «ميخائيل الأكبر- السريانى»: «فإن الإمبراطور الرومانى لم يسمح لكنيستنا المونوفيزتية -[القائلة بالطبيعة الواحدة للمسيح]- بالظهور، ولم يصغ إلى شكاوى الأساقفة فيما يتعلق بالكنائس التى نهبت؛ ولهذا فقد انتقم الرب منه».

---

(١) يعقوب نخلة روفيلة [تاريخ الأمة القبطية] ص ٥٤- ٥٧. تقديم: دكتور جودت جبرة. طبعة مؤسسة مارمرقس لدراسة التاريخ- القاهرة ٢٠٠٠م.

- وحررت دور العبادة النصرانية -الكنائس والأديرة- من الاغتصاب الرومانى، لا ليتخذها المسلمون مساجد، وإنما أعادوها إلى النصارى الوطنيين.. حتى «ليروى أنه خرج للقاء عمرو بن العاص من أديرة وادى النطرون -بمصر- سبعون ألف راهب، بيد كل واحد عكاز، فسلموا عليه، وأنه كتب لهم كتابًا -[بالأمان]- هو عندهم..»[1].

- وحررت -هذه الفتوحات الإسلامية- الناس.. فأشركتهم فى حكم بلادهم.. وأعادت إليهم استقلالهم القانونى.. والقضائى.. والمدنى.. الذى حرموا منه طوال قرون الاستعمار الرومانى..

- كما أعادت العدالة الاجتماعية إلى هذه البلاد، عندما نظمت الضرائب جعلتها على أقساط.. وفى آجال محددة.. وحصرتها فى ضريبتين بعد أن كان المواطن يدفع أربع عشرة ضريبة للرومان!

- وعاد الطابع الوطنى للنصرانية الشرقية وكنائسها ورئاساتها.. فعزل عمرو بن العاص «البطرك -الاستعمارى» الرومانى.. وأعاد البطرك «بنيامين» إلى كرسى كنيسته الوطنية المصرية..

- وإذا كان المستشرق الألمانى الحجة «آدم متز» قد وصف حال النصارى فى ظل الدولة الإسلامية فقال:

«لقد كان النصارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام».. فإن هؤلاء النصارى قد حرموا من حرياتهم المدنية.. والسياسية.. والقانونية..

---

(١) دكتور صبرى أبو الخير سليم [تاريخ مصر فى العصر البيزنطى] ص ١٩٤. طبعة القاهرة ٢٠٠١م.

والقضائيـة.. والثقافية.. واللغـوية طوال القرون التى ابتليت بلادهم فيها باستعمار الرومان والبيزنطيين..

- ولذلك، كان استقبال شعوب الشـرق للفاتحين المسلمين كمحررين.. وبعبارة المؤرخ النصرانى «جاك تاجر» [١٩١٨- ١٩٥٢م]:

«فإن الأقبـاط قد استقبلـوا العـرب كمحررين، بعد أن ضمن لهم العرب -عند دخلوهم مـصر- الحـرية الدينية، وخـففـوا عنهم الضرائب.. ولـقد ساعدت الشريعـة الإسلامية الأقباط على دخـولهم الإسلام وإدماجهم فى المجـموعـة الإسلامـية، بـفضل إعـفائهم من الـضرائب.. أمـا الذين ظلوا مخلصين للمسـيحية، فقد يسر لهم العـرب سبل كسب العيش.. إذ وكلوا لهم أمر الإشراف على دخل الدولة»[1].

- وحـتى البـابا شنودة الثـالث [١٩٢٣-] -بابا الكنيـسة القـبطيـة الأرثوذكسـية- أكبر كنائس الشـرق وأعرقها- والذى كـتب عن عدل الإسلام وسـماحـته، وعن عـدل الخلفاء والحكام المسلـمين مع غـير المسلميـــن.. فقـال عن عـدل الـــراشـد الثانى عـمر بن الخطاب [٤٠ ق هـ- ٢٣هـ ٥٨٤- ٦٤٤م]:

«لقد رأينا فى التاريخ الإسلامى أمثلة واضحة للسماحة الإسلامية.. نذكر منها أن الخليفة عمر بن الخطاب حينما اقترب من الموت أوصى من يأتى بعده فى الخلافة من جهة أهل الكتاب بأمرين:

---

(١) دكتـور جاك تاجر [أقبـاط ومسلمـون منذ الفتح العـربى إلى عام ١٩٢٢م] ص ٣٠٩، ٣١٥. طبعة الهيئة القبطية بالمهجر. مدينة جرمى- أمريكا ١٩٨٤م.

الأمر الأول: وفاء العهود التى أعطيت لهم.

والأمر الثانى قال فيه: ولا تكلفوهم فوق ما يطيقون.

.. وحينما كان الوليد بن عقبة واليًا على بنى تغلب ومن فيهم من نصارى.. ورأى عمر أن الوليد هدد هؤلاء الناس وتوعدهم، عزله من الولاية حتى لا يلقى بهم شراً.. وهكذا كان المسلمون يسلكون فى العدل بين رعاياهم، أيا كان مذهبهم..

ولقد انتهت حياة عمر بن الخطاب على الأرض، وانتهت مدة خلافته، ولكن الخير الذى عمله لم يمت بموته إطلاقًا، ولا يزال حياً الآن يملأ الآذان ويملأ الأذهان.. ويحيا مع الناس على مدى الأزمان».

كما تحدث البابا شنودة عن سماحة الخليفة معاوية بن أبى سفيان [٢٠ ق.هـ- ٦٠هـ/ ٦٠٣- ٦٨٠م] مع غير المسلمين.. فقال:

«لقد كان طبيبه الخاص نصرانياً.. واختار رجلا مسيحياً لكى يؤدب ابنه يزيد.. ويزيد هذا اختار كاهنًا مسيحياً لكى يؤدب ابنه خالدًا».

وتحدث عن الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان [٢٦- ٨٦هـ/ ٦٤٦- ٧٠٥م] فقال:

«لقد اتخذ يوحنا الدمشقى [٥٥- ١٢٢هـ/ ٦٧٥- ٧٤٠م] مستشاراً له.. وقد اختار رجلاً معلمًا مشهوراً اسمه «أطانا سيوس» لكى يؤدب أخاه عبد العزيز.. ولما صار عبد العزيز بن مروان حاكمًا لمصر أخذ «أطانا سيوس» معه كمستشار له.. ونجد أن الأخطل [١٩- ٩٠هـ/ ٦٤٠- ٧٠٨م]

كان من الشعراء المسيحيين المشهورين، واندمج فى مجموعة متلازمة مع جرير [٢٨- ١١٠هـ/ ٦٤٠- ٧٠٨م] والفرزدق [١١٠هـ/ ٧٢٨م] واشتهرت هذه المجموعة فى العصر الأموى.. وكان الأخطل المسيحى حينما يدخل إلى مساجد المسلمين يقوم المسلمون له إجلالاً لعلمه وأدبه - كما يروى التاريخ الإسلامى»..

كذلك يشهد البابا شنودة للخليفة الأموى هشام بن عبد الملك [٧١- ١٢٥هـ/ ٦٩٠- ٧٤٣م] فيقول:

«إنه ابتنى للبطريرك فى أيامه بيتًا إلى جوار قصره، وكان يستمع منه إلى صلواته وعظاته..».

ويشهد -كذلك- للعصر العباسى، فيقول:

عن أبى جعفر المنصور [١٣٦- ١٥٨هـ/ ٧٥٣- ٧٧٤م]: «إن طبيبه الخاص كان مسيحيّاً اسمه «جرجس بن بختيشوع.. وكان الخليفة هارون الرشيد [١٤٩- ١٩٣هـ/ ٧٦٦- ٨٠٩م] يقول للناس:

من كان منكم له حاجة عندى فليكلم فيها جبرائيل؛ لأنى لا أرد له طلبًا.. وكان يوحنا مشهورا من أيام الرشيد إلى أيام المتوكل [٢٠٦- ٢٤٧هـ/ ٨٢١- ٨٦١م].. وكان هؤلاء الخلفاء يدعونه إلى موائدهم، وما يأكلون شيئًا إلا فى حضرته.. وكان حنين بن إسحق من أشهر الأطباء فى العصر الإسلامى، حتى قيل عنه إنه أبوقراط عصره وجالينوس دهره.. وحنين ابن إسحق هذا تعلم الفقه على يد الإمام أحمد بن حنبل [١٦٤- ٢٤١هـ/ ٧٨٠- ٨٥٥م]

وكذلك اللغة على يد سيبويه [١٤٨- ١٨٠هـ/ ٧٦٥- ٧٩٦م] ونبغ فى اللغة العربية نبوغًا عظيمًا..».

كما شهد البابا شنودة للدولة الطولونية، ومؤسسها أحمد بن طولون [٢٢٠- ٢٧٠هـ/ ٨٣- ٨٨٤م] «الذى كان من المحبين للأقباط كثيراً، والذى اختار مسيحيّاً لكى يبنى له مسجده.. واختار مسيحيّاً لكى يبنى القناطر وكثيراً من منشآته.. وكان يذهب كثيراً لزيارة دير القصير، وكان على صلة وثيقة برهبانه هناك.. فلقد كانت الأديرة المصرية دائمًا مجالاً لالتقاء الخلفاء والولاة، وكانوا يحبونها، ويقضون فيها الكثير من الوقت، ويصادقون رهبانها وأساقفتها»..

كما شهد البابا شنودة للدولة الإخشيدية، ومؤسسها محمد بن طغج الإخشيد (٢٦٨- ٣٣٤هـ/ ٨٨٢- ٩٤٦م] «الذى كان يبنى الكنائس بنفسه ويتولى ترميمها».

كما شهد للدولة الفاطمية.. فقال: «ولا أستطيع أن أذكر مقدار اهتمام الخلفاء الفاطميين بالكنائس وبنائها وترميمها..».

ثم يختم البابا شنودة شهادته للتاريخ الإسلامى والسماحة الإسلامية، فيقول: «كما تولى الخلفاء والحكام إقامة الوحدة الوطنية ورعايتها..»[1].

***

(١) من خطاب البابا شنودة فى احتفال وضع الحجر الأساسى لمستشفى مارمرقس -بحضرة الرئيس أنور السادات -فى ١١ أكتوبر ١٩٧٧م- انظر مجلة [وجهات نظر] ص ١٨- ٢٠. عدد ديسمبر ٢٠٠٥م- القاهرة.

فهلاً قرأ عظيم الفاتيكان هذه الشهادات -التاريخية.. والمعاصرة- على هذه الحقائق.. قبل أن يفترى على الإسلام ورسوله ﷺ فرية الانتشار بحد السيف؟!..

وإذا كان الرجل قد جهل هذا التراث الشرقى -القديم.. والحديث.. والمعاصر.. فلماذا تجاهل الكتابات الغربية الحديثة التى أنصفت الفتوحات الإسلامية.. وأعلنت أن الانتشار الإسلامى إنما تم سلمًا.. بل وحتى دون وجود «مؤسسة دعوية تبشيرية» تقوم على نشر الإسلام!..

لقد قال «چورچ سيل» [١٦٩٧- ١٧٣٦م] -وهو مترجم القرآن إلى الإنجليزية-:

- **«لقد صادفت شريعة محمد ترحيبًا لا مثيل له فى العالم.. وإن الذين يتخيلون أنها انتشرت بحد السيف إنما ينخدعون انخداعًا عظيمًا»**[١].

- وقال العلامة «سير توماس أرنولد»:

«إن الفكرة التى شاعت بأن السيف كان العامل فى تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق.. إن نظرية العقيدة الإسلامية تلتزم التسامح وحرية الحياة الدينية لجميع أتباع الديانات الأخرى..[٢]**.. ولقد قيل إن «جستنيان» [٤٨٣- ٥٦٥م] -الإمبراطور الرومانى- أمر بقتل مائتى ألف من**

---

(١) [الدعوة إلى الإسلام] ص ١٨٥- وانظر كتابنا [الإسلام فى عيون غربية] ص ٨١.

(٢) [الدعوة إلى الإسلام] ص ٨٨، ١٦١ -وانظر كتابنا [الإسلام فى عيون غربية] ص ١٣٥.

القبط فى مدينة الإسكندرية، وإن اضطهادات خلفائه قد حملت كثيرين على الالتجاء إلى الصحراء.

وقد جلب الفتح الإسلامى إلى هؤلاء القبط.. حياة تقوم على الحرية الدينية التى لم ينعموا بها من قبل ذلك بقرن من الزمان..

ويظهر أن حالة القبط فى الأيام الأولى من حكم المسلمين كانت معتدلة نوعًا ما.

وليس هناك شاهد من الشواهد على أن ارتدادهم عن دينهم القديم ودخولهم فى الإسلام على نطاق واسع كان راجعًا إلى اضطهاد أو ضغط يقوم على عدم التسامح من جانب حكامهم الحديثين.. بل لقد تحول كثير من هؤلاء القبط إلى الإسلام قبل أن يتم الفتح، حين كانت الإسكندرية -حاضرة مصر وقتئذ- لا تزال تقاوم الفاتحين، وسار كثير من القبط على نهج إخوانهم بعد ذلك بسنين قليلة..»[1].

- بل وأثبت هذا العلامة -سير توماس أرنولد- أن المسيحية الغربية هى التى انتشرت بالسيف والعنف!!..

- فلقد فرض «شارلمان» [٧٤٢- ٨١٤م] التعميدات المسيحية على السكسونيين الوثنيين بحد السيف..

- وفى الدانمرك استأصل الملك «كنوت» Cnut [٩٩٥- ١٠٣٥م] الوثنية من ممتلكاته بالقوة والإرهاب..

---

(١) [الدعوة إلى الإسلام] ص ١٢٣، ١٢٤ -وانظر كتابنا [الإسلام فى عيون غربية] ص ٨٥، ٨٦.

- وجماعة إخوان السيف Bretheren of the Sword وغيرهم من الصليبيين، الذين أدوا رسالتهم بالسيف والنار فى تنصير البروسيين الوثنيين..

- ولقد فرض فرسان Ordo Fratram Miliuechris المسيحية على شعب ليفونيا فرضا..

- وفى ١٦٩٩م وجه «فالنتين» Valentyn إلى رجوات Rajas جزيرة أمبوينا Amboyna مرسوما يأمرهم فيه بإعداد طائفة معينة من الوثنيين لتعميدهم إذا ما طاف بهم راعى الكنيسة.. وربما حل الاضطهاد والتنصير الإجبارى محل الدعوة الهادئة إلى «كلمة الله».

- وفى فيكن Viken (القسم الجنوبى من النرويج) كان الملك «أولاف ترايجفيسون» Olaf trygvesson (٩٦٣- ١٠٠٠م] يقوم بذبح هؤلاء الذين أبوا الدخول فى المسيحية، أو بتقطيع أيديهم وأرجلهم، أو بنفيهم وتشريدهم. وبهذه الوسائل نشر الدين فى «فيكن» بأسرها.

- ووصية القديس لويس [١٢١٤ - ١٢٧٠م] تقول: «عندما يسمع الرجل العامى أن الشريعة المسيحية قد أسىء إلى سمعتها، فإنه ينبغى ألا يذود عن تلك الشريعة إلا بسيفه، الذى يجب أن يطعن به الكافر فى أحشائه طعنة نجلاء»!

- وفى المجر أرغم الملك «شارل روبرت» جميع رعاياه -من «الباشغردية» بعد ١٣٤٠م على اعتناق المسيحية- بعد أن كانوا مسلمين- أو مغادرة البلاد.

- وفى ١٧٠٣م أباد الأسقف -حاكم- «دانيال بيروفتش» D. Petrovich - فى الجبل الأسود- جميع المسلمين الذين لم يتحولوا عن الإسلام إلى المسيحية.. فى ليلة عيد الميلاد!

- وفى روسيا فرض ملكها «فلاديمير» Vladimir ٩٨٨م النصرانية على جميع رعاياه -سادة وعبيداً.. أغنياء وفقراء- فسيقوا جميعًا إلى التعميد بمجرد اعتناق الملك للمسيحية.. ولم ينفتح باب الحرية الدينية فى روسيا إلى ١٩٠٥م!.. وكانت عقوبة التحول عن المسيحية التجريد من الحقوق المدنية، والسجن -مع الأشغال الشاقة- ما بين ثمانى وعشر سنوات!

- وفى الحبشة جعل الملك «سيف أرعد» [١٣٤٢ - ١٣٧٠م] الإعدام عقوبة للمسلمين الذين يرفضون التحول إلى المسيحية.. أو النفى من بلادهم!.. وكذلك صنع ملكها «جون».. الذى أجبر ١٨٨٠م ما يقرب من خمسين ألفًا من المسلمين على التعميد!.. كما أجبر نصف مليون من قبائل الجلا على اعتناق المسيحية[١]!

***

فأى الدينين -الإسلام؟.. أم المسيحية؟- هو الذى انتشر بالسيف - يا عظيم الفاتيكان؟-.. وتلك هى الشهادات الغربية التى تحكى -بالوقائع- كيف كانت العقلانية هى سر انتشار الإسلام.. وكيف كان

(١) [الدعوة إلى الإسلام]: ص٣٠، ٣٢، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٧٤- ٢٧٦، ٢٧٨- ٢٨١، ٢٨٣، ١٢٢، ١٣٥، ١٣٦، ٣٨٤، ٣٨٥، ٤١- ١٤٣.

السيف هو أداة انتشـار المسيحيـة.. وخاصة فى أوربا.. وفى موطنك -بروسيا- على وجه التحديد، كان السيف والنار، أداة نشر المسيحية من قبل جماعة «إخوان السيف»!.. أى أن أجدادك -يا عظيم الفاتيكان- قد أجبروا على اعتناق المسيحية بالإكراه.. وتحت تهديد السيف والنار!..

فهل يجوز لمثلك -أو لـغيرك- مع هذه الشهادات الغـربية -الادعاء بأن الإسلام قد انتشر بالسـيف.. ونسبة هذا «الوهم والافتراء» إلى نبى الرحمة.. رسول الإسلام.. محمد- عليه الصلاة والسلام؟!..

***

● ثم.. لِمَ لَمْ يتـفـكر ويتـعـقل -عظيم الفـاتيكان- وهو دارس ومدرس للفلسفة الإغـريقية- كيف يجتمع انتـشار الإسلام بالسيف مع بقـاء كل المذاهب والكنائس النـصرانيـة- والكنس الـيهـودية- وحـتى الديانات الوضعـية- فى الشرق الإسـلامى وفى الدولة الإسلامية عـبر تاريخ الإسلام؟!

لقد صدر عن «المعـهد الوطنى للدراسات الديموجرافيـة» -فى فرنسا الكاثوليكية- كـتاب [المسيحيـون واليهود فى التاريخ الإسـلامى العربى والتركى] ليثبت -بالحقائق والأرقام والإحصاءات- أن نسبة المسلمين بين رعية الدولة الإسـلامية وشعـوبها- فى مصر والمشـرق العربى وفارس- بعد قـرن من الفتوحات الإسـلامية وقيـام الدولة الإسلامية، لم تتـعد ٢٠٪ من السكان!![1].

(١) فيليب فارج، يوسف كرباج [المسيحيـون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركى] ص٢٥، ترجمة: بشير السباعى. طبعة القاهرة ١٩٩٤م.

فأين كان هذا السيف الذى يزعمون أنه كان السبيل لانتشار الإسلام؟.. والذى يفترونه على رسول الإسلام -عليه الصلاة والسلام-؟!.

***

إن وقائع التاريخ الإسلامى وحقائقه- وهى وقائع وحقائق.. وليست نظريات- تقول:

● إن الدعوة الإسلامية قد مكثت بمكة ثلاثة عشر عامًا -أى أكثر من نصف عمر هذه الدعوة- يتحمل أهلها كل صنوف العذاب والتعذيب والحصار والفتنة فى الدين، دون أية مقاومة مادية لهذا العذاب والتعذيب.. بل إن رسول الإسلام ﷺ كان يدعو للذين ينزلون به وبالمؤمنين هذا العذاب فيقول: «**اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون**»!!..

● وإن الهجرة الإسلامية من مكة إلى المدينة -وكذلك الهجرات التى سبقتها إلى الحبشة- كانت تهجيرًا قسرياً واضطرارياً، وإخراجًا من الديار -وليست خروجًا طوعياً-.. وإنها قد تقررت وتمت عندما بلغ التآمر الوثنى ذروته، بقرار ملأ قريش وصناديد الشرك أن يسجنوا رسول الله ﷺ أو يقتلوه، أو يخرجوه من وطنه ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ**﴾ [الأنفال: ٣٠].. وجميعها خيارات تعنى «الإعدام».. فالسجن إعدام معنوى.. وكذلك الإخراج من الديار، إعدام بالحرمان من المجال الحيوى للحياة!

● وإن الدولة الإسلامية -تحت القيادة النبوية- إنما مارست القتال دفاعًا عن الدين ضد الذين فتنوا المسلمين فى دينهم ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]. . وضد الذين استفزوا المسلمين فأخرجوهم من ديارهم. . والإخراج من الديار معادل للقتل والإعدام ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦].

ولذلك، جاء الإذن بالقتال صداً للعدوان الذى مارسه المشركون، ورفعًا للظلم الذى وقع بالمسلمين المظلومين: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠]. . بل وانحصر هذا القتال الإسلامى فى صد هذا العدوان على الدين والوطن، فقط لاغير. . ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧) لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٧- ٩].

● وفى هذا القتال الدفاعى -الذى دارت أغلب معاركه حول «المدينة» -عاصمة الدولة الإسلامية- دفاعًا عن الدين والوطن، ضد

المشركين الذين زحفوا للعدوان عليهما- سن الإسلام دستوراً أخلاقياً للقتال- قبل أربعة عشر قرنًا من معرفة البشرية لمواثيق أخلاقيات القتال- فقال رسول الله ﷺ: «**اغزوا باسم الله، فى سبيل الله، تقاتلون من كفر بالله** -[أى من المشركين المعتدين]- **لا تَغُلُّوا** -[أى لا تخونوا]- **ولا تغدروا، ولا تمثلوا** -[أى لا تمثلوا ببدن الخصم بعد قتله]- **ولا تقتلوا وليداً**» ونهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والولدان» رواه مالك فى [الموطأ].. ومسلم فى الصحيح..

ولقد صاغ الراشد الأول أبو بكر الصديق [٥١ق هـ - ١٣هـ/ ٥٧٣ - ٦٣٤م] هذا الدستور لأخلاقيات القتال فى وصاياه العشر لقائد جيشه «يزيد بن أبى سفيان» [١٨هـ/ ٦٣٩م] وهو ذاهب إلى الشام لتحرير أرضها وشعبها من الاستعمار الرومانى، فقال له:

«**إنك ستجد قومًا زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له.. وإنى موصيك بعشر:**

١- لا تقتلن امرأة..

٢- ولا صبياً..

٣- ولا كبيراً هرمًا..

٤- ولا تقطعن شجراً مثمراً..

٥- ولا تخربن عامراً..

٦- ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة..

٧- ولا تحرقن نخلاً..

٨- ولا تفرقنّه..

٩- ولا تغلل..

١٠- ولا تجبن..» -رواه مالك- فى [الموطأ]..

● لقد جاء الإسلام رافضًا فلسفة «الصراع» فى حل المشكلات.. لأن الصراع يفضى إلى أن يصرع الطرف القوى الطرف الضعيف، وينفرد بالميدان، فتطوى صفحة التنوع والتعدد والاختلاف، التى جعلها الإسلام سنة من سنن الله التى لا تبديل لها ولا تحويل.. واختار الإسلام سنة «التدافع»، بدلاً من سبيل «الصراع».. والتدافع حراك اجتماعى، يعدل المواقف، ويعيد التوازن إلى العلاقات، مع الحفاظ على سنة التنوع والتمايز والتعدد والاختلاف ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ [فصلت: ٣٣، ٣٤].

وفى إطار «فلسفة التدافع» السلمى -لا «الصراع القتالى»- عرض الإسلام على الشرك الوثنى فتح الأبواب لحرية الدعوة إلى الدين -كل دين- ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ**

ولي دين (٦) ﴾ [الكافرون] ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

وفى إطار هذه الفلسفة، قسم الإسلام الشرك والمشركين إلى ثلاثة أقسام:

١- **المشركون المحايدون:** الذين لم يحددوا موقفًا من الإسلام.. لأنهم لم يعرفوا حقيقته.. وهؤلاء لهم حقوق المعرفة والعلم.. وحرية اتخاذ الموقف الذى يريدون ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].

٢- **والمشركون المعاهدون للمسلمين:** الذين لم ينقضوا عهودهم ولم يغدروا بما عاهدوا عليه.. وهؤلاء لهم الوفاء بالعهود والعقود: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤].

٣- **المشركون الذين نقضوا عهودهم مع المسلمين:** واعتدوا على المؤمنين.. وفتنوهم فى دينهم.. وأخرجوهم من ديارهم.. وهؤلاء هو -فقط- الذين مارس المسلمون ضدهم القتال الدفاعى لرد العدوان.. فهؤلاء هم الذين ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠].. ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة: ١٣].. ﴿وَقَاتِلُوا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]. . ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]. .

● ومع هذا الموقف الإسلامى الرافض «لفلسفة الصراع». . والداعى إلى «التدافع السلمى». . تميز الإسلام بجعل القتال: الاستثناء. . وليس القاعدة. . والضرورة التى تقدر بقدرها. . بل وجعله الاستثناء المكروه! ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]. . وأكدت السنة النبوية هذه الحقيقة، بقول رسول الله ﷺ: «**لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاثبتوا، وأكثروا ذكر الله**» رواه الدارمى. .

كما سن سنن التواضع لله. . والصفح والعفو فى ذروة لحظات الانتصار على الأعداء الذين امتلأ تاريخهم مع الإسلام والمسلمين بالإساءات والشارات. . فدخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح الأكبر ساجدًا لله على راحلته!!. . وقال لأهلها -يومئذ ٨هـ/ ٦٢٩م- وكثيرون منهم لا يزالون على شركهم: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»!!. .

● ومع كل هذه الفلسفات الإسلامية التى حكمت علاقات الدعوة الإسلامية بالآخرين. . ومع هذه الضوابط الأخلاقية التى حكمت القتال الدفاعى الذى اضطر إليه المسلمون دفاعًا عن الدين والوطن. . بل وبسبب كل ذلك. . فإن ضحايا جميع الغزوات التى حدثت على عهد الدولة

النبوية -وهـى عشرون غـزوة وسرية.. فى تسع سنوات- لم يتـجاوزوا [٣٨٦] قتيلاً من الفريقين -قتلى المشركين.. وشهداء المسلمين-!!..

بينما بلغ ضـحايا الحروب الدينيـة فى أوربا -بين الكاثوليك- سلف عظيم الفـاتيكان!- وبين البـروتستـانت عـشرة مـلايين- وفق إحصـاء الفيلسوف الفرنسى «فـولتير» [١٦٩٤ - ١٧٧٨م] أى ٤٠٪ من شعوب وسط أوربا-!!

إن حقائق الدراسة الميـدانية لضحايا جميع الغـزوات الدفاعية- -فى عهد النبوة- لتبدد ذلك الوهم الكبيـر الذى يتحدث أصحابه عن انتشار الإسلام بالسيف.

وها هو جدول هذه الغزوات.. وتعداد ضـحاياها، الذين لا يبلغون تعداد حادث من حوادث المرور فى بلد صغير!!:

رقم	الغزوة	عدد قتلى المشركين	عدد شهداء المسلمين	تاريخ الغزوة	ملاحظات
١	بعث عبد الله بن جحش	١	-	سنة ٢هـ	
٢	غزوة بدر	٧٠	١٤	سنة ٢هـ	
٣	غزوة السويق	-	٢	سنة ٢هـ	
٤	بعث كعب بن الأشرف	١	-	سنة ٣هـ	
٥	غزوة أحد	٢٢	٧٠	سنة ٣هـ	
٦	غزوة حمراء الأسد	١	-	سنة ٣هـ	
٧	بعث الرجيع	-	٧	سنة ٣هـ	
٨	بعث بئر معونة	-	٢٧	سنة ٣هـ	
٩	غزوة الخندق	٣	٦	سنة ٥هـ	
١٠	غزوة بنى قريظة	٦٠٠	-	سنة ٥هـ	هؤلاء قتلوا بالتحكيم جزاء الخيانة. فلا يحسب عددهم فى ضحايا القتال..
١١					
١٢	بعث عبد الله بن عتيك	١	-	سنة ٥هـ	
١٣	غزوة ذى قرد	١	٢	سنة ٦هـ	
١٤	غزوة بنى المصطلق	-	١	سنة ٦هـ	
١٥	غزوة خيبر	٢	٢٠	سنة ٧هـ	
١٦	غزوة وادى القرى	-	١	سنة ٧هـ	
١٧	غزوة مؤتة	-	١١	سنة ٨هـ	
١٨	فتح مكة	١٧	٣	سنة ٨هـ	
١٩	غزوة حنين	٨٤	٤	سنة ٨هـ	
٢٠	غزوة الطائف	-	١٣	سنة ٨هـ	
	غزوة تبوك	-	-	سنة ٩هـ	
	المجموع	٢٠٣	١٨٣		المجموع الكلى من الجانبين ٣٨٦[*]

(*) ابن عبد البر [الدرر فى اختصار المغازى والسير] تحقيق: دكتور شوقى ضيف. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦م.

فأين هذا السيف الذى يتحدث عنه بابا الفاتيكان.. ويقول إنه العمل السيئ والشرير واللاإنسانى الذى جاء به رسول الإسلام ﷺ؟!..
وجعله أداة لنشر الإسلام!!..

● ومع كل هذه الحقائق التاريخية.. وشهادات غير المسلمين من أعلام الشرق والغرب -تاريخياً.. وحتى عصرنا الراهن-على الانتشار السلمى للإسلام.. وبسبب عقلانيته الفريدة والمتميزة.. فهلا سأل بابا الفاتيكان نفسه- وهو الخائف من انتشار الإسلام فى عقر داره الأوربية.. والخائف من تحول أوربا إلى جزء من دار الإسلام- فى هذا القرن الواحد والعشرين.

هلا سأل الرجل نفسه عن «السيف» الذى ينتشر به الإسلام فى أوربا هذه الأيام؟!..

إن سيوف العالم الإسلامى إما محطمة.. أو يعلوها الصدأ فى الأغماد!..

وإن سيوف الحضارة المسيحية الغربية مغروسة فى الكثير من رقاب المسلمين!..

وإن أرض الإسلام تنتشر فيها عشرات القواعد العسكرية الغربية!..

وإن البحار والمحيطات الإسلامية تحتلها الأساطيل الحربية الغربية!.

ومع كل هذه الغيبة لسيوف الإسلام.. وكل هذا الطغيان لسيوف

الغرب حتى علـى أرض الإسلام.. تنفتح القلوب والعقـول -فى عقر دار البابا- أمام الإسلام!..

هكذا يصنع الإسـلام اليوم.. وهكـذا كان صنيـعه فى التـاريخ.. وهكذا سيصنع غدًا -بإذن الله- يا عظيم الفاتيكان!

●●●